https://doi.org/10.26682/hjuod.2022.25.1.5

مجلة جامعة دهوك، المجلد: 25، العدد: 1 (العلوم الانسانية والاجتماعية)،ص 63-74 2022

الفتوحات الإسلامية وأثرها في مجتمع الجزيرة العربية (11 -41هـ/ 632-661م)

نشتيمان علي صالح

قسم اللغة الانكليزية، كلية التربية/عقرة، جامعة دهوك، اقليم كوردستان–العراق

(تاريخ استلام البحث: 20 شباط، 2022، تاريخ القبول بالنشر: 31 آذار، 2022)

الخلاصه

سوف نشير في مستهل بحثنا هذا إلى طبيعة مجتمع الجزيرة العربية عند ظهور الإسلام ، والتغير المفاجيء الذي أحدثته الدعوة الإسلامية ، ثم نتطرق بعد ذلك إلى أسباب الفتوحات الإسلامية ، والظروف التي أسفرت عنها في عهد الخلفاء الراشدين (11 -41هـ/ 632-661م) ، قبل أن نأتي على ذكر النتائج التي أسفرت عنها هذه الفتوحات ، والآثار التي أحدثتها في مجتمع الجزيرة ، في مختلف أوجه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

الكلمات المفتاحية: الفتوحات ، الاسلامية، مجتمع ، الجزيرة، العربية

المقدمة

إنَ الفتوحات الإسلامية تحكمت فيها إلى حد كبير بيئة الجزيرة العربية وخصائص سكانها وطبيعة مجتمعها . فالجزيرة العربية ذات المناخ الصحراوي ، تتألف من صحراء شاسعة تغلب عليها السهول والهضاب في مناطقها الوسطى والشرقية ، وتنتشر الجبال في أجزائها الجنوبية والغربية . وهذا ما كان له تأثير واضح على نمط الحياة وأسلوب المعيشة ، بحيث أنكمشت المجتمعات المتحضرة ، وانحصرت في بعض مدن الحجاز وفي الجهات الخصبة من اليمن ، وسادت البداوة والترحال في باقي أنحاء الجزيرة . وبذلك أصبح العرب ينقسمون حسب طريقة العيش ، إلى بدو رحلتقوم حياتهم على تربية المواشي ويرافقون القوافل ، ويشاركون في الغزو ويذودون عن المضارب ، حيث يتوفر العشب ويوجد الماء ، وإلى حضر مستقرين في الواحات وبعض الجهات الخصبة من اليمن ، يمارسون زراعة معيشية ، ويقومون بالتبادل التجاري الذي أتسع نطاقه ، فأصبح يربط مختلف أنحاء الجزيرة بالأقطار المجاورة لها . وقد اشتهرت قبيلة قريش المقيمة بمكة بهذه المبادلات التجارية حتى أصبح العديد من أفرادها ، في مطلع القرن السابع الميلادي، يحتكرون أعمال المصارف ويقومون بمقايضة بضائع اليمن بمنتوجات الشام، ويمسكون بأعنة القوافل عبر الطريق التجاري الرئيس الذي يمر في غرب الجزيرة العربية، وتقع عليه مدن مكة ويثرب والطائف .[1] ومما يلاحظ أن اختلاف الطبائع والأساليب لدى البدو والحضر ، وفر للدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، تكاملاً إقتصادياً وبشرياً ساعدها على التصدي للأعداء والتغلب عليهم ؛ فالبدو بشجاعتهم في الحروب وبتعودهم الغزو وامتهانهم الغارات ، يشكلون القوة المحاربة والمخزن الاحتياطي البشري الذي يمد الفتوحات بالجيوش ، حتى أن عمر بن الخطاب [τ]وصفهم بأنهم :" أصل العربومادة الإسلام "، بينما الحضر الذين كانت لهم صلاتتجارية بأرقى أمم العالم القديم[2] ، ومعرفة بثقافات بيزنطة وفارس والحبشة ، كانوا يؤلفون القيادة الكفوءة لتسيير عمليات الفتح وتنظيمها، ويوفرون الإطار الإداري الكفيل بالمحافظة عليها إلا أن تغلب البداوة وشيوع الروح القبلية وانكماش الحواضر ، حال دون ظهور نظام موحد للعرب في العهد الجاهلي ، وبقي هذا التكامل بين وظيفة البدو والحضر في الحيز النظري فقط ، حتى ظهر الإسلام بنزول الوحي على النبي محمد ρ][سنة (21هـ /610م) بمكة ، وتكوين النواة الأولى للمجتمع الإسلامي في

Nshtemansalh98@gmail.com

المدينة إثر هجرة الرسول ρ][إليها في (15 تموز سنة 622م)، وانتشار الدعوة الإسلامية بإقليم الحجاز بعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة (630م) . وبذلك توفر الدافع والمحرك لانتقال مجتمع الجزيرة العربية ، من تنظيمه القبلي وعاداته الجاهلية وروحه الوثنية ، إلى مجتمع إسلامي متماسك ، يرتكز على فكرة الأمة الواحدة والعقيدة الموحدة التي تهتدي بتعاليم القرآن وتستظل بتشريعاته ، وقد تم هذا التحول المفاجيء بشكل عميق وحاسم ، في السلوك والأعمال والنيات اثر إقامة الأسس الأولى للدولة الإسلامية عقب هجرة الرسول ρ][إلى المدينة ، وهذا ما جعل عمر بن الخطاب [τ]يقول ، حسب الروايات :" الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها" [3] ، وبذلك ظهر مجتمع جديد لم تعد فيه العصبية والافتخار بالنسب أساس المنزلة الاجتماعية ، وإنما أصبح المقياس الحقيقي لمكانة الفرد ومنزلته ، هو الخضوع لتعاليم القرآن والامتثال لأوامر الرسول ρ][وخلفائه الراشدين من بعده ، هذه التعاليم والاوامر التي حاربت العصبية القبلية ودعت إلى رابطة العقيدة ، وجعلت الجهاد في سبيل الله يحل محل الأخذ بالثأر والتعصب للعشيرة . وهكذا أصبح اعتناق الإسلام والخضوع لتعاليمه ، يقتضي التنازل عن طلب الثأر ، والانضواء تحت راية الحكومة المركزية بالمدينة المنورة . وقد وصف ابن حزم الظاهري حالة العرب قبل الإسلام ، وقارنها بالتحول الذي طرأ عليهم باعتناقهم له بقوله :" كانت العرب بلا خلاف قوماً لقاحا لا يملكهم أحد ، كربيعة ومضر وأباد وقضاعة ، أو ملوكاً في بلادهم يتوارثون الملك كابراً عن كابر .. فانقادوا كلهم لظهور الحق وبهوره وآمنوا به [τ] طوعاً ، وهم آلاف آلاف وصاروا إخوة كبني أب وأم " [4].

أولاً : دوافع الفتوحات الإسلامية

بعد هذا نتساءل عن دوافع الفتوحات الإسلامية ، وسر نجاحها وتحقيقها نتائج مكنت العرب ، مع بساطتهم وقلة عددهم ، من إقامة حضارة من أنظر الحضارات التي عرفها التاريخ ، في أقل من مائة سنة[5] ، ولعل الجواب على ذلك ، يكمن في استعراض بعض الأسباب ، والتعرض للظروف المساعدة على عملية الفتح .

فمن العوامل التي دفعت المسلمين إلى التوجه لفتح الأقطار المجاورة ، وساعدتهم على تحقيق انتصارات حاسمة في فترة وجيزة نذكر :

1-الحماس الديني :

فجر الحماس الديني الطاقات الكامنة في نفوس العرب ، وأشعرهم بأن لهم رسالة حضارية يجب عليهم النهوض بها ، عملاً بالآية الكريمة : [هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون[6]]. ولو كلفهم ذلك أموالهم وأرواحهم التي اشتروها من الله ، مصداقاً للآية الكريمة : [ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون] [7]وقد عبر عن تلك الروح التي تحلّا بها المسلمون ، المغيرة بن شعبة عندما قال له رستم قائد الفرس بالقادسية : " إنكم تموتون فيما تطلبون ، فأجابه بقوله :" يدخل من قتل منا منكم النار ، ويظهر من بقي منا على من بقي منكم " [8].

وهذا الشعور الديني الفياض في نفوس المسلمين الذي قضى على المشاحنات والعداء والتنافس بينهم ، هو الذي دفع أبا بكر الصديق [τ]أن يخاطب كبار الصحابة ، عندما اعتزم فتح بلاد الشام بقوله : " إن الله قد جمع كلمتهم (أي المسلمين) ، وأصلح ذات بينهم وهداهم إلى الإسلام [9] ، وأن يحث المسلمين على الجهاد في سبيل الله ، بقوله : " لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله ، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل "[10] . وكتب للغرض نفسه كتاباً إلى أهل اليمن جاء فيه : " فإن الله تعالى كتب على المؤمنين الجهاد ، وأمرهم أن ينفروا خفافاً وثقالاً ، ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله "[11] . كما دعا لتحقيق هذا الغرض المقاتلين من أرجاء الجزيرة العربية ، للالتحاق بالجيش الإسلامي المتوجه إلى الشام ، أو المصاحب لخالد بن الوليد ، في هجومه على الحيرة[12] .

وباسم الجهاد أيضاً ، فرض عمر بن الخطاب التعبئة الإجبارية على العرب ، وأمر بأقاليم الجزيرة العربية . بإحضار كل فارس وذي نجدة أو رأي فإن جاء طائعا إلا أحضروه حشراً أو قادوه مقتادا[13] . كما أمر قادة الجيش بتطبيق

الأحكام الإسلامية المتعلقة بالجهاد ، والتي يخير فيها غير المسلم بين الإسلام والجزية أو القتال ، حسب ما تنص الآية الكريمة : [قاتلواالذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون [14]].

وهذا ما يجعلنا نؤكد على هذا العامل الروحي ، باعتباره السبب الرئيس لفتح الأقطار المجاورة للجزيرة العربية ، ولا نسلم بالفكرة القائلة بأن الإسلام لم يأت بشيء جديد ، وإنما أتى بشعار جديد وتنظيم جديد ، وبأن القوات الإسلامية التي قامت بتلك الفتوح ،كانت تهدف إلى نشر سيادة الإسلام لا الإسلام بحد ذاته ، معتمدين في ذلك على بعض الإجراءات التي اتخذها الحكام ، لتثبيت أوضاع الجيوش الإسلامية في البلاد المفتوحة .

2-العامل الاقتصادي :

ومع تأكيدنا على أهمية العامل الروحي ، فإننا نقر بأن للعامل الاقتصادي دخلاً في دفع العرب المسلمين إلى فتح الهلال الخصيب ووادي النيل ، وذلك أن أغلب جيوش الفتح ، كانت تتألف من عشائر البدو وجموع القبائل التي تضررت – في تلك الفترة – من الجفاف ونقص المراعي وهلاكالمواشي وندرة المياه ، بدليل أن بعض الوفود التي أتت إلى المدينة لمبايعة الرسول ρ][في العام التاسع للهجرة ، اشتكت من القحط والمجاعة ، إذ قال رجل من وفد فزارة للنبي ρ][(ص) عندما سأله عن بلاده :" أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا وغرف عيالنا فادع لنا ربك " ، فدعا النبي ρ][لهم فمطرت السماء[15] ، وكذلك أجاب رجل آخر من وفد بني مرة الرسول ρ][، عندما أستفسره عن حالة بلاده فقال : " يا رسول الله أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا "[16] .

وقد استمرت تلك الأحوال الاقتصادية الصعبة بالجزيرة العربية في عهد الخلفاء الراشدين ، فتميزت السنة الثامنة عشرة للهجرة بحلول القحط ، واشتداد المجاعة وهلاك المواشي ، وهبوب عواصف رملية تشبه الرماد ، حتى عرفت بعام الرماد . وقد ذكر ابن الأثير : " أن الوحش أصبح يأوي إلى الإنس لاشتداد الجوع"، وهذا ما أضطر سكان البادية إلى اللجوء إلى المدينة ، بحثاً عن شيء يسدون به رمقهم ، فوجدوا الرعاية من الخليفة عمر [τ] الذي هيأ لهم الغذاء والكساء ، حتى ارتفع البلاء وعادوا إلى مواطنهم أو الحقوا بالأمصار [17].

وهذه الأوضاع الاقتصادية هي التي دفعت بعض المؤرخين إلى القول ، بأن الفتوحات الأولى كان الغرض منها في كثير من الأحوال الغنيمة لا الاحتلال والاستعمار[18] ، كما سمحت لبعض الشعراء أنيتندروا على بعض الأفراد الذين هاجروا إلى الأمصار تحت وطأة الظروف الاقتصادية ، أو انضموا بفعل الحاجة إلى جيوش الفتح ، بمثل هذا البيت[19] :

فما جنة الفردوس هاجرت تبتغي

ولكن دعاك الخبز أحسب والتمر

وعلى كل فإن الحكام المسلمين وقادة جيوش الفتح ، حاولوا استغلال الدافع الاقتصادي في تحريض المقاتلين ، وحثهم على مقارعة العدو للفوز بالغنائم ، فذكر البلاذري أن أبا بكر الصديق [τ] :" لما فرغ من أمر أهل الردة ، وأراد توجيه الجيوش إلى الشام ، كتب إلى أهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز ، يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم ، فسارع الناس إليه من بين مستحب وطامع ، وأتوا إلى المدينة من كل أوب" [20]كما أن الطبري ذكر أن خالداً بن الوليد ، قام في الناس خطيباً بعد معركة ذات السلاسل :" يرغبهم في بلاد العجم ويزهدهم في بلاد العرب ، وقال ألا ترون إلى الطعام كرفغ التراب ! وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء إلى الله عز وجل ، ولم يكن إلا المعاش لكان الرأي أن نقارع على هذا الدين ، حتى نكون أولى به ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممن أثاقل عما أنتم فيه" [21].

ومما يلاحظ أن العامل الاقتصادي المتمثل في الحاجة إلى البحث عن مصادر رزق ، إثر تزايد السكان واشتداد الجفاف ، أدى ببعض المؤرخين إلى القول بالحتمية التاريخية مثل كيتانى ونكلر وبيكر ، الذين رأوا أن نزوح العرب من جزيرتهم نحو الأراضي الخصبة بالهلال الخصيب ، كان يتم في شكل حركة مستمرة وبطيئة ، وفي فترات متعاقبة ومحددة ، مما تطلب

من الروم والفرس إقامة دويلات حاجزة ، كالغساسنة والمناذرة الذين أوكل اليهم وقف تقدم القبائل النازحة نحو الشمال في القرن السادس الميلادي ، قبل أن تنطلق الهجرة الكبرى والأخيرة التي حمل فيها العرب الإسلام خارج جزيرتهم ، ومع وجاهة ومنطقية هذه النظرية ، إلا أننا لا يمكن أن نطمئن إليها ، لانعدام الأدلة القاطعة وقلة المعلومات المتعلقة بتكاثر السكان وطبيعة المناخ ، وعلاقة البادية بالأراضي الزراعية والبدو بالفلاحين[22] .

3-الأسباب السياسية :

ويضاف للعامل الروحي والدافع الاقتصادية ، بعض الأسباب السياسية التي كان لها دخل في تشجيع المسلمين على فتح الأقاليم المجاورة لبلادهم : مثل العمل على توحيد صفوف المسلمين وتوجيه أنظارهم للخارج ، والقضاء على الأخطار الخارجية المحدقة بهم .فبالنسبة لتوحيد صفوف المسلمين وتصفية الانقسامات الداخلية بينهم ، نلاحظ أن الخليفة أبا بكر الصديق [τ] عمل جاهداً على نشر الإسلام ببقية بلاد العرب ، إثر وفاة الرسول ρ][إذ بقي الإسلام محصوراً في أكثر من ثلث العرب بقليل . فحتى الحجاز لم يعمه الإسلام إذا اعتبرنا أن الوفود التي بايعت النبي ، وبلغ عددها واحداً وسبعين وفداً ، حسب الروايات[23] ، لم تكن تنوب عن كل أنحاء الجزيرة العربية ، ولم يكن أعتراف زعماء القبائل بنبوة محمد ρ][وإسلامهم على يده ، يعني بالضرورة إسلام بقية أفراد قبائلهم .ولتحقيق وحدة الجزيرة سياسياً ودينياً ، وإبعاد الانقسامات عن صفوف المسلمين ، عقد الخليفة أبو بكر الصديق [τ] أحد عشر لواءً ، لفتح أنحاء الجزيرة الشمالية والشرقية والجنوبية ، وقد اشتهر في هذه العمليات التي عرفت بحروب الردة ، قادة حققوا انتصارات حاسمة ، وقضوا على المرتدين في سنة واحدة ، مثل خالد بن الوليد ، وعكرمة بن أبي جهل ، وعمرو بن العاص . وقد تمكن خالد بن الوليد من إخضاع قبائل وسط الجزيرة المعادية لنفوذ المدينة ، وحملها على الطاعة والدخول في الإسلام ، ابتداءً من طيء وأسد ، ومروراً بغطفان وتميم وبني حنيفة ، حيث وقعت معركة عقرباء التي مات فيها كثير من الصحابة ، وقضي فيها على مسيلمة الكذاب عام (12هـ/ 633م) . وشملت حملات أخرى أقاليم البحرين وعمان وحضرموت واليمن ، وبذلك قضي على ظاهرة ادعاء النبوة في القبائل ، بتصفية الأنبياء الكذابين ، أمثال مسيلمة بن حبيب في بني حنيفة ، والأسود العنسي باليمن ، وطليحة في غطفان ، وسجاح في تميم ، وقد حرص أبو بكر الصديق [τ]على القضاء على عوامل الانقسام ، وترسيخ مبادئ الإسلام في القبائل البدوية ، ولهذا رفض أي تساهل يخل بمبادئ الإسلام أو يمس بسلطة الحكم المركزي بالمدينة ، عندما قال كلمته المشهورة : " لو منعوني عقالاً لقاتلتهم"[24] ، وقد قال ابن مسعود عن أبي بكر [τ]، عندما عزم على قتال أهل الردة: "فو الله ما رضي منهم إلا الخطة المخزية أو الحرب المجلية ، فأما الخطة المخزية ، فإن أقروا بأن من قتل منهم في النار وأن ما أخذوا من أموالنا مردود علينا ، وأما الحرب المجلية فأن يخرجوا من ديارهم".[25]

وقد تطلبت المحافظة على وحدة العرب بعد إسلامهم ، توجيه أنظارهم نحو الخارج وإشغالهم بالفتوحات ، ولهذا السبب بالذات لم يتردد أبو بكر الصديق [τ] إثر انتهائه من حروب الردة ، في إرسال أجناد المسلمين لفتح الشام والعراق وتزويدها بالإمداد يتلو بعضها بعضاً ، وقد خاطب المسلمين في ذلك بقوله :" قد رأيت أني أستنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام "[26] ، وبذلك تمكن بهذه السياسة الرشيدة من الوصول إلى منافذ جديدة لروح القبائل الثائرة ، بعد أن حيل بينها وبين الحرب والخصومات ، ضمن رابطة الأخوة الإسلامية[27] .

أما الجانب الأخر من العامل السياسي للفتوحات ، فيتمثل في الرغبة في توفير الأمن الداخلي للدولة الإسلامية الناشئة ، وإبعاد الخطر الخارجي المتربص بها ، ولهذا عمل الخلفاء الراشدون على رفع معنويات المسلمين ، وإكسابهم المناعة ضد تأثير النفوذ البيزنطي والفارسي ، وتصفية الديانات الموجودة في الجزيرة العربية قبل الإسلام ، كالمسيحية واليهودية . ومن أجل ذلك أمر عمر بن الخطاب [τ] بإخراج اليهود والنصارى من بلاد العرب[28] ، عملاً بقول الرسول ρ][:" لا يجتمع دينان في جزيرة العرب"[29] ، فأجلى نصارى نجران من اليمن ، وأنزلهم ناحية الكوفة ، وعندما حاولوا الرجوع إلى

اليمن في عهد الخليفة علي بن أبي طالب [τ] ، منعهم وأجاب أسقفهم بقوله :" ويحك إن عمر كان رشيد الأمر ... لأنه خافهم على المسلمين ، وقد كانوا اتخذوا الخيل والسلاح في بلادهم "[30] . كما عمل الخليفة عمر بن الخطاب [τ] على تحويل القبائل العربية المنتصرة ، مثل بني كلب والغساسنة وبني تنوخ وتغلب إلى الإسلام . فأشترط على بني تغلب عدم تنصير ابنائهم ، مقابل التعهد بإمدادهم بالعطاء ، وقد جاء في رواية إسماعيل بن مهاجر : أن عمر قد اشترط على نصارى بني تغلب أن لا ينصروا أولادهم ، وكل شيء يجب على المسلم فيه واحد ، فعل النصارى التغلبيين أثنان . وفي رواية أخرى أن عبادة بن نعمان التغلبي ، أشار على عمر بن الخطاب أيخصص عطاءً لبني تغلب ، حتى لا يظاهروا الروم على العرب ، "فصالحهم عمر على أن لا يغمسوا أحداً من أولادهم في النصرانية ، ويضاعف عليهم الصدقة" وزيادة في حثهم على اعتناق الإسلام ، لم يضع على أرضهم الخراج ، واعتبرها أرض عشر عند إسلامهم[31] ، ولإبعاد الخطر الخارجي عن المسلمين ، وفك الحصار المضروب على جزيرتهم من طرف البيزنطيين والفرس ، وأحلافهم من القبائل العربية شبه المتنصرة بني لخم والغساسنة ، ارتأى الرسول ρ[، توجيه جيش من المسلمين إلى تبوك في السنة التاسعة للهجرة ، وقد تمكن هذا الجيش من مهاجمة دومة الجندل وأخذ الجزية من أهالي أبلة . كما جهز الرسول ρ[للغرض نفسه ، جيشاً لغزو الشام قبل وفاته بقليل (شهر محرم\ السنة الحادية عشرة) ، وعقد لواءه لأسامة بن زيد بن حارثة ، وأمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء والداووم من أرض فلسطين" [32]وقد رأى الرسولρ[عقد لواء هذه الحملة لأسامة رغم صغر سنه ، وذلك حتى يأخذ بثأر أبيه ومن قتل معه من المسلمين ، ويؤدب أحلاف الروم والمتواطئين معهم ، كشرحبيل بن عمرو الغساني الذي قتل بمؤتة الحارث بن عمير الأزدي ، مبعوث الرسول ρ[إلى بصرى)[33] .

وإثر وفاة الرسول ρ[، أصر الخليفة أبو بكر الصديق [τ] على إبقاء قيادة الجيش لأسامة وتسييره لغزو الشام ، وكان يهدف من وراء ذلك إشعار أعداء المسلمين في الداخل والخارج ، بقوة الحكومة الإسلامية وثبات مركزها "فقال العرب : لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش ، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوا"[34] . وبذلك تمكن المسلمون من فك الحصار الذي كانت تشكله القبائل النصرانية في الشمال ، حيث بكر بن وائل وتغلب وكلب وتنوخ ، والتحكم في المركز التجاري المهم في طريق الشام ، وهو دومة الجندل إثر إخضاع قبيلة كلب المتنصرة[35] .

ومما يلاحظ أن عامل توفير الأمن للدولة الإسلامية ، كان الشغل الشاغل للحكام المسلمين في عهد الفتوحات ، حتى قال عمر بن الخطاب إثر إتمام فتح العراق ، عن الفرس الذين كان يتخوف منهم : " وودت لو أن بيني وبينهم جبلاً من نار" ، هذا العامل نفسه هو الذي شجع المسلمين ، على فتح فارس إثر التمكن من السيطرة على العراق ، والتوغل في أرمينية والدخول إلى مصر ، بعد إخضاع بلاد الشام ، وعلى كل حال فإن العامل السياسي للفتوح ، سواء ما يتعلق منه بتوفير الأمن الداخلي أو إبعاد الخطر الخارجي ، كانت له نتائج بعيدة الأثر في تماسك العرب و اتحادهم ، والإسراع بعملية الفتح ، كما أن عدم الأخذ بهذا العامل ، قد يؤدي إلى أحكام مسبقة لا تتماشى مع طبيعة الفتوح ، مثل الرأي القائل بأن الفتوحات لم تكن نتيجة خطة رسمها أولياء الأمر من المسلمين ، وبأنها أداة حربية لم تلبث أن عظم شأنها ، فافلتت من يد الذين أستخدموها بتوالي الانتصارات [36].

4- الظروف المساعدة

ويضاف إلى هذه العوامل التي كانت سبباً في فتح العرب للأقطار المجاورة لجزيرتهم ، توفر الظروف المساعدة التي سهلت عملية الفتح وزادت في سرعتها ، بحيث تم فتح الشام إثر معركة اليرموك(15هـ/636م) ، وفتح القدس (16هـ/638م) وأنطاكية (17هـ/639م) ، وتمت السيطرة على العراق بعد معركة القادسية (15هـ/637م) وفتح المدائن (16هـ/638م) ، وقضي على قوة الفرس في معركة نهاوند (18هـ/ 640م) ، كما أخضعت مصر بالاستيلاء على حصن بابليون وفتح الإسكندرية . وتتلخص هذه الظروف المساعدة للفتوحات في :

أ- توفر القيادة الكفوءة

بفضل توجيهات أبو بكر الصديق [τ] وعمر بن الخطاب[τ] التي كانت في الواقع تأكيداً لسياسة الرسول ρ][واستمراراً لها ، أمكن تحقيق الأهداف العليا للدولة الإسلامية ، وإخراج الإسلام من نطاقه المحلي بجزيرة العرب إلى مستواه العالمي ، حيث موطن الحضارات الكبرى في العالم القديم ، وقد أكد أبو بكر [τ] استمرارية سياسة الرسول ρ][في هذا المجال ، إذ قال :"ما رددت جيشاً أنفذه رسول الله ρ][أتامرني أن أكون أول من حل عقداً عقده رسول اللهρ][" [37]. ولم يتردد خدمة لهذه السياسة ، أن يصرح لكبار الصحابة أن رسول الله ρ][كان عول أن يصرف همته إلى الشام فقبضه الله إليه ، واختار له ما لديه ، "إلا أني عازم أن أوجه أبطال المسلمين إلى الشام بأهلهم ومالهم ، أنبأني بذلك قبل موته" .

ب- التدريب الكافي لخوض حروب خارجية

وقد اكتسب المسلمون أثناء غزوات النبي ρ][وفي حروب الردة ، التي كانت في حد ذاتها أكبر تدريب عملي لكتائب المسلمين على الحركات الواسعة والمجابهة المستمرة ، كما تعرف المسلمون على أساليب العدو في القتال ، في غزوة مؤتة عندما واجهتهم القوات الحليفة للروم ، وانتصرت عليهم بقيادة شرحبيل بن عمرو التي كان عددها يناهز مائة ألف ، في وقت لم يكن عدد المسلمين يتجاوز ثلاثة آلاف فرد[38] .

ومما زاد من كفاءة الجيوش الإسلامية ، كونها تتشكل في أساسها من القبائل البدوية التي تتصف بالخشونة والشجاعة ، ويتميز أفرادها بخفتهم ومهارتهم في ركوب الخيل ورمي النبال ، وقطع المسافات البعيدة على ظهور الجمال ، بينما كان أغلب قادة هذه الجيوش ، أمثال خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وشرحبيل بن حسنة وخالد بن سعيد ويزيد بن أبي سفيان ومعاوية بن أبي سفيان وزياد بن أبيه وغيرهم [39]،ينتمون إلى حضر مدن الحجاز الذين كانوا على معرفة بمسالك الصحراء ،وعلى دراية بأوضاع البلاد المجاورة التي تعرفوا عليها ، أثناء ممارستهم للتجارة .

ج- ضعف الروم والفرس

تسرب الضعف إلى الروم والفرس نتيجة الفتن والحروب الخارجية والانقسام الديني والظلم الاجتماعي والمطالب المالية . وهذا ما دفع أغلب أهالي حوران ودواخل سورية ، ونساطرة العرا ق والجزيرة ، وأقباط مصر إلى اعتبار العرب الفاتحين قوماً من بني جنسهم [40]، جاءوا ليضعوا حداً للمظالم التي توالت عليهم من كبار الملاك الإغريق ، والمتعاونين معهم من الإقطاعيين المحليين ، وينقذوهم من الاضطهاد الديني الذي سلطته كنيسة بيزنطة عليهم ، بسبب اعتقادهم بطبيعة واحدة للسيد المسيح (عليه السلام)[41] .

ومما زاد في تضعضع موقف كل من الفرس والروم ، إهمالهم تحصين حدودهم الصحراوية ، إثر نفور بني لخم من الفرس الذين قتلوا النعمان بن المنذر ، وبعد إهمال الروم الغساسنة وأبطالهم الجراية المخصصة للقبائل الصحراوية المتاخمة للشام والمقيمة جنوب البحر الميت ، على الخط الواصل بين المدينة وغزة . ورغم انتصار عرب الشمال على جيش المسلمين في مؤتة شمال البتراء عام (8هـ/629م) ، إلا أن إمبراطور البيزنطيين هرقل رفض توزيع الجراية خوفاً من إنضمام هذه القبائل إلى المهاجمين لأطراف الصحراء[42] ، وبذلك انهار خط الدفاع الأول للبيزنطيين والفرس أمام أول هجوم من الصحراء ، مما سهل على المسلمين فيما بعد إيجاد أنصار من قبائل تخوم الصحراء ، وسمح لهم باستخدام أفراد كثيرين منهم في شؤون الإدارة ، إثر إنشاء المعسكرات الكبرى (الأمصار) .

ثانياً: نتائج الفتوحات الإسلامية

بعد هذا نتطرق إلى أهم النتائج التي أسفرت عنها الفتوحات الإسلامية الكبرى ، وكان لها تأثير على مستقبل الإسلام كعقيدة وعلى العرب كأمة ، سواء في المجال السياسي أو الوضع الاقتصادي أو الحالة الإجتماعية .

(1) نتائج الفتوحات في الحياة السياسية :

تتمثل هذه النتائج في النقاط التالية :

(أ) وضع نظام حكم ملائم للدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، التي إتسعت رقعتها وزادت مداخيلها وتعددت الطوائف والشعوب الداخلة تحت نفوذها . وقد ساهم الخليفة

عمر بن الخطاب [τ] في وضع أغلب تنظيمات الدولة الإسلامية ، فأنشأ ديوان الجند بالمدينة المنورة ، ثم بالأمصار الكبرى مثل البصرة والكوفة والفسطاط[43] . وضبط دفاتر الجند المشارك في عمليات الفتح (المقاتلة) ، وحدد العطاء وفرض الأرزاق حسب السابقة في الإسلام والجهاد في سبيله ، وقسم الدولة إلى مقاطعات كبرى ، عرفت بالأمصار كالمدينة والبحرين والبصرة والكوفة والشام ومصر والجزيرة ، ولم يتردد في الأخذ بكثير من التنظيمات التي كانت متبعة في الأقطارالمفتوحة ، مثل سك النقود وتنظيم الجيش والبريد والمالية ومسح الأراضي وتقسيمها ، وفرض الضرائب الزراعية ، وقد قال ابن مسعود في ذلك :" وهو أول من مسح السواد وأرض الجبل ، ووضع الخراج على الأرضين ، والجزية على جماجم أهل الذمة" [44].

(ب)التطور الذي عرف نظام الخلافة ، بانتقاله من حالة التقشف والزهد والاقتصاد في الإنفاق على شؤون المسلمين ، في عهد الخليفتين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) ، إلى حالة الإسراف في صرف ودائع بيت المال ، في أواخر خلافة عثمان [τ]. وقد وصف ابن طباطبا حكومة الخلافة في فترتها الأولى بقوله :"كان زيها هو الخشونة في العيش ، والتقليل في المطعم والملبس .. وذلك مؤاساة لفقراء رعيتهم وكسراً للنفس عن شهواتها ، ورياضة لها لتعتاد أفضل حالاتها"[45] . أما الفترة الثانية لنظام الخلافة ، فكانت نتيجة طبيعية للفتوحات التي أدت إلى تقاطر الأموال والثروات على مركز الخلافة ، وإلى تغير في أسلوب الحكم ، وتحول في نظرة الرعية إلى الحكام . وهذا ما شعر به عثمان بن عفان [τ] فاقترح للحد من آثاره السلبية ونتائجه الوخيمة ، أن يبقى كبار الصحابة في مركز الخلافة ، وأن يبعد عامة العرب عن الأمصار ، وذلك بتوزيع ما يستحقونه من الفيء ، حيث أقاموا من بلاد العرب . لكن هذا الإجراء الذي لا يرتقي إلى مستوى تنظيمات عمر [τ] ، لم يحد من إنتقاد سكان الأمصار من أفراد القبائل العربية ، ومن تحفظ بعض كبار الصحابة من سلوك عمال عثمان[46] [τ]

(ج) حدوث أزمة في نظام الحكم ، أدت إلى انتقال مركز الثقل إلى الأمصار، وتحول مركز الخلافة من المدينة المنورة ، وذلك نتيجة للفتوحات التي أدت إلى إحداث الأمصار واستقرار كثير من العرب والموالي فيها ، الذين لم يلبثوا أن شعروا بأنهم حرموا من ثمار الفتوح التي شاركوا فيها ، وأدى بهم الأمر إلى التحفز للثورة ضد عثمان [τ] فانتفضت الكوفة عام (32هـ\653م) ، وانتشر الاستياء في مصر مع نهاية عام (35هـ\656م) ، اثر استبدال عمرو بن العاص بعبدالله بن أبي سرح أخي عثمان من الرضاع. وتفاقمت الأوضاع بوصول وفد مصر إلى المدينة ، لتقديم الشكوى التي أنتهت بمقتل عثمان[τ]عام (35هـ/656م) ، وبذلك إنتقل مركز الثقل وميدان الصراع إلى الأمصار مع خروج طلحة والزبير وعائشة من مكة إلى المدينة والتحاق علي بن أبي طالب [τ] مع جيشه بالكوفة ليواجه أطماع معاوية ، وإثر إغتيال علي [τ] عام (41هـ/661م) ثم القضاء _بعدئذ_ على ثورة عبدالله بن الزبير ، استقر نهائياً مركز السلطة ومقر الحكم في الدولة الإسلامية ، خارج الجزيرة العربية[47] .

(2) نتائج الفتوحات في المجال الاقتصادي :

تبرز هذه النتائج في التغير الجذري لأسلوب العيش وطريقة الحياة ، بالنسبة للحضر والبدو على حد سواء ، وكذلك في انتقال الأرض الزراعية من حوزة الدولة إلى ملكية الأفراد ، بالإضافة إلى تكوين الملكيات الكبيرة في الإسلام ، وظهور الأثرياء من بين كبار المسلمين ، في وقت بدأت فيه الجزيرة العربية تعيش انكماشاً إقتصادياً متزايداً .

ففي ما يخص التغير في نمط الحياة وأسلوب المعيشة ، نلاحظ أن الفتوحات أدت إلى تحول العديد من عشائر البدو ، من امتهان الرعي ومصاحبة القوافل وشن الغارات ، إلى الاعتماد كلياً على ما يخصصه لها الحكام ، من عطاء ورزق أو على ما تجود به الأراضي الخصبة بالسواد ، من إنتاج فلاحي ، بعد أن سمح عمر بن الخطاب [τ] لبعض العشائر أن تقيم بجوار الكوفة ، ولم ير مانعاً من إقطاع بعض العرب قسماً من أراضي الصوافي (صوافي الأثمار) ، التي كانت في السابق ملكاً للأمراء والقادة من المشركين ، باعتبارها ليست ملكاً لكافة المسلمين ،

وإنما هي تحت تصرف الخليفة مباشرة ، ثم توسع في ذلك عثمان[τ]، فخصص مساحات كبيرة منها لبعض بطون القبائل، قبل أن يسارع معاوية بن أبي سفيان بإقطاع الأراضي الواسعة بالشام لمعاضديه من عشائر البدو . وقد نتج عن هذه الإجراءات ، تحول جزء كبير من العرب من حياة البداوة والترحل إلى حياة الاستقرار وممارسة الزراعة[48] .

أما الحضروأغلبهم من سكان مدن الحجاز فقط طرأ تحول عميق على حياتهم ، بعد أن انتفعوا بغنائم الفتح التي كانت أوامر الخليفة عمر [τ]، تقتضي أن لا توزع إلا بعد أن تجمع بالمدينة ، وقد كانت من الكثرة والضخامة ، بحيث أن عمر كان يخاطب المسلمين بشأنها فيقول:" يا أيها الناس، قد جاء مال كثير فإن شئتم أن نكيل كلنا ، وإن شئتم أن نعد لكم عددنا ، وأن شئتم أن نزن لكم وزنا"[49] ، وبذلك تحسنت أحوال الحضر ، وكثر الأثرياء من بينهم ، ولم يعودوا يعتمدون في معاشهم على الإشتغال بالتجارة فقط، وإنما تحولوا إلى الوظائف الإدارية والخدمات الثقافية والاجتماعية ، والتحق الكثير منهم بالأمصار ، خارج الجزيرة العربية .

أما ما يتعلق بانتقال ملكية الأراضي الزراعية من سلطة الدولة الإسلامية إلى تصرف الأفراد ، فقد تم هذا التحول في خلافة عثمان [τ]، وكانت قبل ذلك في عهد عمر بن الخطاب [τ]، تعتبر الأراضي الزراعية المفتوحة "السواد" ، فيئاً للمسلمين وملكاً لبيت المال ، وقد تمسك عمر [τ] بهذا الوضع ، لأنه كان يخشى على العرب الاستقرار بالأرض ، والإشتغال بالزراعة ، والتحول عن الجهاد في سبيل الله. وهذا ما دفعه إلى توجيه كتاب إلى سعد بن أبي وقاص جاء فيه: " أما بعد ، فقد بلغني كتابك تذكر فيه ، أن الناس سألوك أن تقسم الأرض بينهم ، مغانمهم وما أفاء الله عليهم ، فإن أتاك كتابي هذا فانظر ما أجلب الناس عليك به من العسكر من كراع ومال، فاقسمه بين من حضر ، واترك الأرضين والأنهار بعمالها ، ليكون ذلك في أعطيات المسلمين ، فإنك إن قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شئ"[50] .

وقد وردت عدة روايات تؤكد التزام عمر بن الخطاب [τ] بهذا النهج في ما يصدره . من أوامر وما يحدثه من تنظيمات ، فقد نقل عن محمد بن عبدالله الزهري قوله:" افتتح عمر السواد والأهواز عنوة ، فسئل عمر قسمة ذلك ، فقال : فلمن جاء من المسلمين من بعدنا ، فأقرهم على منزلة أهل الذمة" [51]، وفي رواية أخرى أجاب من طلبوا قسمة السواد ، فقال :"قد أشرك الله الذين يأتون من بعدهم في هذا الفيء، فلو قسمته لم يبق لمن بعدكم شئ" [52].

على أن عثمان [τ] اضطر في أواخر عهده إلى التخلي نهائياً عن سياسة عمر[τ] المتعلقة بالأراضي ، وذلك بعد أن لاحظ ضغطاً من أثرياء المدن لتوسيع مصادر رزقهم ، وشعر بتململ ينبيء بالثورة في أوساط القبائل المقيمة بالأمصار ، والتي لم تجد ما تنفقه بعد أن بدرت أرزاقها وقل عطاؤها، بعد انتهاء الفتوحات الكبرى بفتح الشام والعراق وفارس ومصر . ولهذا سارع عثمان إلى الحد من احتكار الدولة للأراضي ، وسمح لمن رغب في إمتلاكها ، وقد بدأ ذلك بالدعوة إلى مبادلة الثروات والأراضي ، بالأمصار والحجاز عندما قال حسب بعض الروايات :" يا أهل المدينة إن الناس يتمخضون الفتنة ، وإني والله لاتخلصن لكم الذي لكم ، حتى أنقله إليكم إن رأيتم ذلك، فهل ترونه حتى يأتي من شهد مع أهل العراق الفتوح فيه فيقيم معه في بلاده". وعندما سأله الناس :" كيف تنقل إلينا ما أفاء الله علينا من الأرضين يا أمير المؤمنين؟"قال: " نبعها ممن شاء بما كان له بالحجاز" . وقد علق على ذلك عبدالله بن عمر الذي أورد الخبر بقوله :"ففرحوا وفتح الله عليهم به أمراً لم يكن في حسابهم ، فأفترقواوقد فرجها الله عنهم به"[53] .

وقد ارتبط بهذا التحول الذي عرفته وضعية الأرض الزراعية نتيجة الأوضاع التي ترتبت عن الفتوح ، تكوين الملكيات العقارية الواسعة في الإسلام ، وذلك بعد أن أستبدل كثير من العرب ما يملكونه من أراضي السواد بأراضٍ مماثلة لها في جزيرة العرب، وهذا ما أدى إلى شيوع التعامل النقدي في عمليات البيع والشراء والاقتراض والمقايضة ، وإلى استخدام اليد العاملة غير العربية ــ وأغلبها من الموالي ــ في إستصلاح

الأراضي القريبة من المدن ، وتحويلها إلى بساتين وجنان مثمرة . وقد نسب في هذا المجال إلى طلحة استنبات القمح في ملكياته بالحجاز[54] .

هذا وقد صاحب تميزظهور الملكيات الواسعة ، تميز أقلية من المسلمين بالغنى الشديد ، نتيجة مهارتهم في العمليات التجارية ، ومعرفتهم بطبيعة المبادلات المالية والعقارية . وكان أغلب هؤلاء الأثرياء ينتسبون إلى قبيلة قريش التي لم يسلم بعض أفرادها _ رغم ظهور الإسلام فيهم- إلا بعد تأكدهم من المحافظة على تجارتهم والإبقاء على مكانتهم . ومن أشهر هؤلاء الأثرياء ، نذكر طلحة والزبير ومروان بن الحكم وعبدالرحمن بن عوف وزيد بن ثابت ويعلى بن منبه ، وقد ذكر أن طلحة ترك من الأموال بعد موته ، ما قدر بثلاثين مليوناً من الدراهم ، كان النقد منها مليونين ومائتي ألف دينار ، وكان سائرهم عروضاً وعقاراً[55] .

على أن هذا الإزدهار الاقتصادي الذي عرفته بلاد العرب ، والذي كان نتيجة مباشرة أن تلاشى بعد تحول طرق التجارة الرئيسة إلى شمال الجزيرة العربية وغربها ، حيث البصرة والكوفة ودمشق والفسطاط ، وإثر هجرة بطون عديدة من القبائل وجماعات كثيرة من سكان المدن إلى البلاد المفتوحة ، وبذلك بدأت بلاد العرب تتعرض إلى مصاعب إقتصادية جمة ، أدت بها إلى نوع من العزلة والإنكماش الاقتصادي الذي زادت حدته في العهد العباسي خاصة[56] .

(3) تأثر الوضع الاجتماعي بالفتوحات:

يمكن معالجة هذا الموضوع بأستعراض النقاط التالية :

(أ) انحصار البداوة وتغير التركيب الاجتماعي للعشائر ، إذ أدى الإلتزام بتطبيق مبادئ الإسلام والخضوع إلى شروط الحياة الجديدة بالأمصار إلى إنحصار البداوة وتحول جزء كبير من العرب إلى حياة الإستقرار ، وهذا عكس ما عرف عنهم في العهد الجاهلي . كما أن البنية الاجتماعية للقبيلة العربية ، لم تعد كما كانت عليه قبل الإسلام ، حين كانت تعتبر وحدة منفصلة لها كيان مميز ورأي خاص ، وانما تحولت نتيجة اعتناقها للإسلام ومشاركتها في الفتوح ،إلى وحدة اجتماعية تتحكم فيها الرابطة الروحية ، أكثر مما يؤثر فيها الإنتماء القبلي والعرقي ، وتخضع لسلطة دولة مركزية ، أكثر مما تستجيب لأحلافها السابقة ، وميول شيوخها وأولي الأمر منها

ويضاف إلى هذا التغير في بناء القبيلة ، تجزؤ بعض المجموعات القبلية الكبرى ، باستقرار قسم منها في الأمصار ، وبقاء جزء منها في جزيرة العرب . وهذا ما ساعد على تكوين تشكيل جديد لبعض القبائل ، أصبح فيه الانتماء إلى نسب أعلى هو أساس الانسجام والتلاحم ، مما ترك آثاراً بالغة في التاريخ الداخلي للدولة الإسلامية ، فيما بعد [57]

(ب)تناقص سكان الجزيرة العربية : كان ذلك نتيجة الهجرة الواسعة إلى البلاد المفتوحة والتي وصفها بعض المؤرخين ، بأنها آخر الهجرات السامية الكبرى نحو الهلال الخصيب[58] . ومما شجع على هذه الهجرة وزاد في حدتها ، تلك الظروف الإقتصادية الصعبة والأحوال السياسية المضطربة في أواخر عهد عثمان [τ] ، كما تناقص سكان جزيرة العرب أيضاً، بسبب المجاعة وانتشار الأمراض وهلاك كثير من الناس نتيجة ذلك ، فطاعون عمواس مثلاً كان قد أضر بجيوش الفتح في السنة (18هـ/ 639م)؛ ؛ فمات به أبو عبيدة بن الجراح وأبو عبدالرحمن معاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفيان . وهلك من جيوش المسلمين حوالي خمسة وعشرين ألف نسمة . وانتشر المرض من بلاد الشام حيث ظهر بقرية عمواس بفلسطين وسرى إلى شمال جزيرة العرب وسواد العراق . وقد وصفه ابن الأثير بقوله:" وأصاب الناس من الموت ما لم يروا مثله قط ، وطمع له العدو في المسلمين ، لطول مكثه شهوراً ، أصاب الناس بالبصرة مثله"[59]

وهكذا تناقص سكان الجزيرة العربية نتيجة هذه الأسباب ، تناقصاً محسوساً أدى إلى نزول بلاد العرب عن مستواها الديمغرافي الذي كان لها قبل الإسلام ، فأفقرت جهات عديدة من السكان ، ولم يبق في بعض الجهات الأخرى ، سوى النساء والأطفال والشيوخ . وهذا ما دفع بعض الشعراء ، أمثال البريق بن عياض شاعر الهذليين ، وأبي خراشة إلى الحنين إلى العهد السابق للفتوحات ، حيث كانت مواطن العشائر تعج بالحركة والحيوية ، ولعل هذا الوضع الديمغر افي الذي

عرفته جزيرة العرب ، لا يمكن مقارنته إلا بحالة شبه الجزيرة الإيبرية إثر إكتشاف العالم الجديد وهجرة الإسبان إليه .

(ج)التمايز الاجتماعي من حيث الثروة والجاه : بالرغم من سعي الخلفاء الراشدين لإقرار عدالة اجتماعية تتماشى ومبادئ الإسلام ، والتزامهم في تسيير شؤون الحكم بالمساواة في المعاملة ، إذ قال أبو بكر [τ] عندما سوى بين الناس في الأعطيات "انما ذلك ثوابه على الله جل ثناؤه ، وهذا معاش فالأسوة فيه خير من الأثرة"[60] . وعندما فرض عمر [τ] الأرزاق لم يراع سوى السابقة إلى الإسلام والبلاء فيه ، فجعل للمهاجرين والأنصار ممن شهدوا بدراً خمسة آلاف درهم ، ثم أنقص العطاء تدريجياً ، حسب المكانة في الإسلام وحاجة الناس ، حتى انتهي بتخصيص ألف درهم للذين أسهموا بعد اليرموك والقادسية ، وقد قال في ذلك :" لا أجعل من قاتل رسول الله ρ][كمن قاتل معه" [61].

لكن تطور المجتمع الإسلامي نتيجة الفتوح ، أدى أخيراً إلى تفاضل الناس في المكانة الاجتماعية من حيث الثورة والجاه ، وهذا ما لمسه عمر بن الخطاب [τ] في أواخر حياته ، وحاول الحد منه ، وقد قال في ذلك :" ولئن بقيت ليبلغن الراعي بصنعاء نصيبه من هذا الفيئ"[62] . كما أنه أعلن الملأ : " لئن بقيت إلى هذا العام لألحقن آخر الناس بأولهم ، ولاجعلنهم رجلاً واحداً".لكن انتهاج عثمان [τ] من بعده، سياسة اللين أمام تزايد مطالب عماله وقرابته من بني أمية ، أدى في نهاية الأمر إلى تكوين طبقة مسرفة في الغنى ، تستحوذ على نصيب كبير من الأموال التي كانت الرعية في حاجة إليها[63] . وهذا ما دفع سكان الكوفة إلى إظهار معارضتهم والوقوف في وجه سعيد بن العاصي الذي قال لهم :" الوساد بستان قريش"، والرد عليه بقولهم:"أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا،بستانا لك ولقومك"[64] .

وقد أدى هذا التمايز في المكانة الاجتماعية من حيث الثروة والجاه ، إلى حدوث أزمة في المجتمع الإسلامي ، أدت أخيراً إلى إنهيار نظام الخلافة ، وقد وصف طه حسين ذلك بقوله :" وازداد طموح هؤلاء الأثرياء الذين لم يكتفوا بامتلاك الأراضي واستغلال الطبقة العاملة ، وإنما انتهى بهم الأمر إلى التنافس في إكتساب النفوذ والاستحواذ على الإمارة والارتقاء إلى الخلافة ، وبذلك انتهى إلى ما انتهي إليه من هذه الفتن والخطوب التي أفسدت الأمر على المسلمين ، منذ مقتل عثمان وحتى تولي بني العباس"[65] .

(د)ظهور جماعات سكانية جديدة في مجتمع الجزيرة العربية: بدأت منذ عهد الخليفة عمر[τ]، يتشكل أغلبها من الموالي والأسرى والعبيد ، وقد حملت هذه الطوائف السكانية معها عاداتها ومعارفها ومهاراتها البدوية والفنية . وهذا ترك– فيما بعد– في العهد الأموي آثاراً عميقة على القيم والمفاهيم ، والإنتماء لدى سكان مدن الحجاز ، لا سيما المدينة المنورة التي استقطبت القسم الأكبر من الموالي ، حيث أوكل إليهم مختلف الخدمات الاجتماعية والمهن الصناعية ، واستعمل الكثير منهم في خدمة الأرض، كما اشتغل البعض منهم بفنون الطرب كالغناء والرقص وغيره. ومثل هذا الاختلاط السكاني حدث بالأمصار ، حيث استقر العرب بجوار طوائف مختلفة من سكان البلاد الأصليين ، مما أدى إلى احتكاك وتأثير متبادلين.

(هـ) بداية ظهور الانحياز الإقليمي والانتماء المذهبي: وجد العرب والموالي على حد سواء ، في الانحياز الاقليمي والانتماء المذهبي بديلا ملائماً لصراعاتهم القبلية وروحهم العشائرية ونزعتهم القومية التي حاربها الإسلام وأخمدتها الفتوحات الكبرى . وقد شجع على ظهور هذه الميول السلبية في المجتمع الإسلامي أواخر العهد الراشدي ، تطور المعارضة السياسية في نهاية حكم عثمان [τ] ، واشتداد التنافس بين علي بن أبي طالب [τ] ومعارضيه ، وسعى معاوية أن يفوز بالخلافة ولو بالالتحاء إلى الولاء القبلي ، زيادة عن الاحتكاك الحضاري في الأمصار بين حضارات الشعوب القديمة ، والعرب الفاتحين، وبذلك ظهر تنافر تحول إلى عداء مستحكم بين عرب الشمال"القيسية" ، وعرب الجنوب"اليمنية" الذين اشتهرت منهم قبائل مثل كلب بالشام التي كانت لها أراض بوادي القرى القريب من المدينة[66] ، ومذحج وكندة بالكوفة ، وهمذان وأزدعمان بالبصرة وخراسان[67] . كما ساعدت هذه الظروف على بداية تكوين أحزاب ومذاهب سياسية ودينية

ارتسمت خطوطها الأولى مع حركة الخوارج وتنظيمات الشيعة وأفكار المرجئة ، وقد ترك هذا الانتماء الجهوي والانتساب المذهبي ، بصمات عميقة وواضحة في تاريخ العرب ، وكانت له نتائج مدمرة على مستقبل الدولة الإسلامية ، حتى في أقصى أقاليمها ، وإن كان قد ساعد إلى حد كبير على تطور الحياة الأدبية والفكرية لدى المسلمين .

الخاتمة

ولعل أهم نتيجة للفتوح نختتم بها هذا البحث ، تتمثل في ذلك الامتزاج الحضاري الذي تم بين العرب والشعوب المجاورة لهم ، وكان قوامه الدين الإسلامي الحنيف ، ولحمته اللغة العربية ، وصبغته حضارات شعوب العالم القديم ، والذي أنتج الحضارة العربية الإسلامية التي تنتمي إليها اليوم ونعتز بتراثها ونفخر بأصالتها . وبذلك تكون الفتوحات الإسلامية التي حملت الدعوة الإسلامية خارج جزيرة العرب ، قد حققت أكبر ثورة إجتماعية وإنقلاب حضاري ، عرفته منطقة البحر المتوسط وجنوب غرب آسيا في تاريخها الطويل .

الهوامش والاحالات

(1) أمين ، أحمد ، فجر الإسلام ، ط5(القاهر ة-1945م) ص12-15 .

(2) لبون ، غسطاف ، حضارة العرب ، ترجمة: عادل زعيتر (القاهرة- د.ت) ص96 .

(3) حسن ، حسن إبرا هيم ، تاريخ الإسلام (القاهرة- د.ت) 179/1 .

(4) الظاهري ، ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، المطبعة الأدبية (القاهرة- 1320هـ) 2/84-85 .

(5) لبون، حضارة العرب، ص96 .

(6) التوبة : الاية 32 .

(7) آل عمران : الاية 169 .

(8) زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الإسلامي ، مطبعة الهلال ، ط7 (القاهرة- 1935م) 55/1 .

(9) ابن عساكر، أبو القاسم علي ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق: صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمي العربي(دمشق – 1951م) مج1 ، 443/8.

(10) الدوري ، عبد العزيز ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، المطبعة الكاثوليكية(بيروت- 1961م) ص44.

(11) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق، 445/8 .

(12) حسن ، تاريخ الإسلام ، ص214 .

(13) اليوزبكي، توفيق سلطان ، دراسات في النظم العربية الإسلامية (الموصل- 1977م) ص140 .

(14) التوبة : الاية 29 .

(15) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار صادر (بيروت- 1957م) 229/1 .

(16) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 298/1 .

(17) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن، الكامل في التاريخ (القاهرة- 1349هـ) 388/2 .

(18) حتي ، فيليب ،تاريخ العرب مطول (د.م-1950) ،197/1 .

(19) فلهاوزن، يوليوس ، تاريخ الدولة العربية ، ترجمة: أبي ريدة (القاهرة- 1958م) ص24 .

(20) البلاذري، أبي الحسن، فتوح البلدان ، تحقيق: رضوان محمد رضوان ،مطبعة السعادة(القاهرة- 1959م) ص115 .

(21) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، مطبعة الاستقامة (القاهرة- 1939 م) 559/2 .

(22) الدوري، مقدمة في التاريخ ، ص15 .

(23) ابن سعد، الطبقات الكبرى ، 359/1،291 .

(24) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص103 .

(25) البلاذري، فتوح البلدان، ص104 .

(26) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 443/8 .

(27) حتي، تاريخ العرب ، ص197 .

(28) C.Chahen, L'Islam des origins au debut de I'empire ottoman(HistoreUniverselle 14. Paris: Bosdas,1970),p'23;

ابن سعد، الطبقات الكبرى، 383/3 .

(29) الراوي، إسماعيل ، تاريخ الدولة العربية (بغداد-1976م) ص86 .

(30) أبو يوسف ، يعقوب ،كتاب الخراج ، المطبعة السلفية، ط2 (القاهرة- 1352هـ) ص73 .

(31) أبو يوسف ،كتاب الخراج ، ص121 .

(32) ابن الأثير، الكامل ،215/2 .

(33) ابن سعد ، الطبقات الكبرى، 128/2 .

(34) حسن ، تاريخ الإسلام ، ص212 .

(35) M.Rodinson, Mahomet,(paris:Ed.au Seuil,1961),283.

(36) حتي ، تاريخ العرب ، ص197 .

(37)ابن الأثير ، الكامل ، 226/2 ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، 440/8 .

(38)ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 129/2 .

(39)زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن ، 56/1-57 .

(40)حتي، تاريخ العرب ، 194/1 .

(41)زيدان ، تاريخ التمدن ، 194/1 .

(42)B.Lewis,lesArabesdansI'Hisioire(Neuchatel,1958) ,p'48.

(43)N. Elisseeff,I'Orienimusulman au moyen-4ge,(paris:A.Colin,1977)p'67.

(44)ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 282/3 .

(45)ابن طباطبا ، تاريخ الدول الإسلامية"الفخري" (بيروت- 1960م) ص73 .

(46)حسين، طه، الفتنة الكبرى، ،دار المعارف (القاهرة- د.ت) 103/1 .

(47)Elisseeff,op'40.

(48)D.et.T.Sourdel,La civilization de I'Islamclasslque,(paris:Arthaud,1968),p'40.

(49)أبو يوسف ،كتاب الخراج ، ص45 .

(50)أبو يوسف ،كتاب الخراج ،ص24 .

(51)البلاذري ، فتوح البلدان ، ص376 .

(52)أبو يوسف ،كتاب الخراج، ص24 .

(53)الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 332/3 .

(54)لمبار، موريس ، الإسلام في مجده الأول ، ترجمة: إسماعيل العربي (الجزائر- 1978م) ص29 .

(55)ابن سعد ، الطبقات الكبرى، 352/3.

(56)لمبار ، الإسلام في مجده الأول ، ص29 .

(57)فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص26-27 .

(58)حتي ، تاريخ العرب ، ص196 .

(59)ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، 392/2 .

(60)أبو يوسف ،كتاب الخراج ، ص42 .

(61)أبو يوسف ،كتاب الخراج ، ص43 .

(62)أبو يوسف ،كتاب الخراج، ص24 .

(63)الدوري ، مقدمة في تاريخ ، ص55-56 .

(64)دروزة ، عزة، تاريخ الجيش العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار (بيروت- 1962م) ص162 .

(65)حسين ، الفتنة الكبرى ، 195/2.

(66)o.Rentz,"Djazirat al-Arab",L'Encyclopedie de L'islam(nouvelle edition),p,568

(67)فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية ، ص36 .

THE ISLAMIC CONQUESTS AND THEIR IMPACT ON THE SOCIETY OF THE ARABIAN PENINSULA(11-41 AH/632-661 AD)

NESHTIMAN **A**LI **S**ALEH
Dept. of English Language, College of Education, Akre , University of Dohuk, Kurdistan Region-Iraq

ABSTRACT

At the beginning of our research, we will refer to the nature of the society of the Arabian Peninsula at the emergence of Islam, and the sudden change brought about by the Islamic call, and then we will turn to the causes of the Islamic conquests, and the circumstances that resulted during the era of the Rashidy Caliphs (11-41 AH/632-661 AD), before we come to a mention of the results of these conquests, and the effects they had on the island society, in the various aspects of political, economic and social life.

KEY WORDS: Conquests, Islamic, society, Island, Arabia